حدث في رمضان

وفاة عمرو بن العاص فاتح مصر

في 30 رمضان 43هـ الموافق 664 تُوفي عمرو بن العاص رضي الله عنه وعمره 100 عاما.

عمرو بن العاص.. فاتح مصر هو الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل، القرشي السهمي، يكنى أبا عبد الله وأبا محمد. كان في الجاهلية جزّارًا، وكان يحترف التجارة أيضا، فقد كان يسافر بتجارته إلى الشام واليمن ومصر والحبشة. كما كان من فرسان قريش وأبطالهم المعدودين، مذكورًا بذلك فيهم، وكان أيضا شاعرًا حسن الشعر، حفظ عنه الكثير في مشاهد شتى. كما كان معدودًا أيضا من دهاة العرب وشجعانهم وذوي آرائهم، ولذلك أرسلته قريش إلى النجاشي ملك الحبشة ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده.

وبعد أن رجع من الحبشة، وفي ستة ثمان من الهجرة، وقبل الفتح بنحو ستة أشهر قدمَ هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة مسلمين، فلما دخلوا على رسول الله ونظر إليهم قال: «قد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها». وكان قد همّ بالإقبال إلى رسول الله في حين انصرافه من الحبشة، ثم لم يعزم له إلى ذلك الوقت.

ولما أسلم كان النبي يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وقد بعث إليه رسول الله يومًا يقول له: «خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني». قال عمرو: فأتيته وهو يتوضأ فصعّد فيّ النظر، ثم طأطأ فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيُسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة». قال: قلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله . فقال: «يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح».

وقد كان من أهم ملامح شخصيته ما يلي:

1 – يفزع إلى الله ورسوله: فقد أخرج ابن حبان في صحيحه عنه أنه قال: فزع الناس بالمدينة مع النبي فتفرقوا، فرأيت سالما مولى أبي حذيفة احتبى بسيفه وجلس في المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رسول الله فرآني وسالمًا، وأتى الناس فقال رسول الله : «يا أيها الناس، ألا كان مفزعكم إلى الله ورسوله! ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان؟».

2 – شهد له رسول الله بالإيمان: وفي ذلك أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله : «ابنا العاص مؤمنان، هشام وعمرو».

3 – أميرٌ عليم بالحرب: فقد ذكر ابن حجر في الإصابة من طريق الليث قال: نظر عمر إلى عمرو يمشي، فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا.

وأخرج الحاكم أيضا في المستدرك عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوروا نارًا، فغضب عمر وهمّ أن ينال منه، فنهاه أبو بكر وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله عليك إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر .

كما يحكي هو عن نفسه فيما أخرجه الحاكم أيضا فيقول: «ما عدل بي رسول الله وبخالد بن الوليد أحدًا من أصحابه في حربه منذ أسلمنا».

4 – شديد التواضع:

وهو فوق ذلك متواضع شديد التواضع، وقد أخرج ابن المبارك عن جرير بن حازم قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول: مَرّ عمرو بن العاص فطاف بالبيت فرأى حلقة من قريش جلوسًا، فلما رأوه قالوا: أهشام (أخو عمرو) كان أفضل في أنفسكم أو عمرو بن العاص؟ فلما فرغ من طوفه جاء فقام عليهم فقال: إني قد علمت أنكم قد قلتم شيئا حين رأيتموني، فما قلتم؟ قالوا: ذكرناك وهشامًا فقلنا: أيهما أفضل؟ فقال: ساخبركم عن ذلك، إنا شهدنا اليرموك فبات وبتّ في سبيل الله وأساله إياها، فلما أصبحنا رُزِقَها وحُرِمْتُها، ففي ذلك تبين لكم فضله عليّ.

وقد ولاه رسول الله غزاة ذات السلاسل، وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح، ثم استعمله على عُمان فمات وهو أميرها، ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومَنْبج وأنطاكية وولاه عمر فلسطين، هذا غير جهاده العظيم في حروب الردة.

جهاده في حرب الردة

مات الرسول وعمرو بعُمان، فأقبل حتى انتهى إلى البحرين فوجد المنذر بن ساوى في الموت، ثم خرج عنه إلى بلاد بني عامر فنزل بقرّة بن هبيرة وهو يقدم رجلا إلى الردة ويؤخر أخرى ومعه جيشٌ من بني عامر، فأكرم قرّة مثواه، فلما أراد عمرو الرحلة خلا به قرة وقال: يا هذا، إن العرب لا تطيب لكم نفسًا بالإتاوة، فإن أعطيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم. فقال عمرو: أكفرت يا قرة؟ اتخوفنا بالعرب؟! فوالله لأوطئنّ عليك الخيل في حفش أمك. (والحفش: بيت ينفرد فيه النفساء).

ومر بمسيلمة الكذاب فأعطاه الأمان، فقال له عمرو: «أعرض لي ما تقول». فذكر مسيلمة بعض كلامه، فقال عمرو: «والله إنك لتعلم إنك من الكاذبين» فتوعده مسيلمة.

ولما وصل عمرو المدينة وعقد أبو بكر أحد عشر لواء لحرب أهل الردة، عقد لعمرو وأرسله إلى قضاعة، وكان قد حاربهم في حياة النبي في غزوة ذات السلاسل، وكانت قضاعة قد ارتدت بعد وفاة النبي ، فلما انفذ إليهم أبو بكر جيشا بقيادة عمرو، سار عمرو بجيشه في الطريق الذي سلكه من قبل حتى وصل بلاد قضاعة، فاعمل السيف في رقابهم وغلبهم على أمرهم، فعادوا إلى الإسلام، وعاد هو إلى المدينة حاملا لواء النصر.

جهاده في أرض الشام

رد أبو بكر عَمْرًا إلى عمله الذي كان رسول الله ولاه إياه في (عُمان)، فلما أراد إرسال الجيوش لفتح أرض الشام كتب أبو بكر لعمرو: «إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاك رسول الله ووعدك به أخرى؛ إنجازًا لمواعيد رسول الله وقد وليته، وقد أحببت أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك». فكتب إليه عمرو: «إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي».

فعقد أبو بكر لعمرو وأمره أن يسلك طريق (أيلة) عامدًا إلى فلسطين، وكان العقد لكل أمير من أمراء الشام في بدء الأمر ثلاثة آلاف رجل، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الإمداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة، وكان جيش عمرو مؤلفًا من أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب، وقال أبو بكر لعمرو: «قد وليتك هذا الجيش، فانصرف إلى أرض فلسطين، وكاتب أبا عبيدة وانجده إذا أرادك ولا تقطع أمرًا إلا بمشورته». فأقبل عمرو على عمر بن الخطاب وقال له: «يا أبا حفص، أنت تعلم شدتي على العدو وصبري على الحرب، فلو كلمت الخليفة أن يجعلني أميرًا على أبي عبيدة، وقد رأيت منزلتي عند رسول الله ، وإني لأرجو أن يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الأعداء». فقال عمر بن الخطاب: «ما كنت بالذي أكلمه في ذلك؛ فإنه ليس على أبي عبيدة أمير، ولأبو عبيدة أفضل منزلة منك وأقدم سابقة منك، والنبي قال فيه: «أبو عبيدة أمين الأمة». فقال عمرو: «ما ينقص من منزلته إذا كنت واليًا عليه؟!» فقال عمر: «ويلك يا عمرو! إنك ما تطلب بقولك هذا إلا الرياسة والشرف، فاتق الله ولا تطلب إلا شرف الآخرة، ووجه الله تعالى». فقال عمرو: «إن الأمر كما ذكرت».

وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشام، حتى بعث هرقل قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين، فكان «تذارق» شقيق هرقل أمام عمرو على رأس جيش عدده تسعون ألفًا، ولكن قادة المسلمين فوتوا على الروم فرصة ضرب جيوش المسلمين على انفراد؛ إذ كاتبوا عَمْرًا: ما الرأي؟ فأجابهم: «إن الرأي لمثلنا الاجتماع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلة، وإذا نحن تفرقنا لا تقوم كل فرقة لمن استقبلها لكثرة عدونا». وكتبوا إلى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو، وقال: «إن مثلكم لا يؤتى من قلة وإنما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب، فاحترسوا منها، واجتمعوا باليرموك».

واجتمع المسلمون باليرموك، واجتمع الروم بها أيضا، فنزل الروم (الواقوصة)، وهي على ضفة اليرموك خندقا لهم، وانتقل المسلمون عن معسكرهم فنزلوا على طريق الروم وليس للروم طريق إلا عليهم، قال عمرو: «أيها الناس ابشروا، حصرت – والله – الروم، وقلما جاء محصور بخير».

وفي معركة اليرموك الحاسمة كان عمرو على الميمنة، فكان له الأثر كبير على انتصار المسلمين في هذه المعركة، وفي معركة فتح دمشق نزل عمرو بجيشه من ناحية باب (توما)، وبعد فتحها سار المسلمون نحو (فحل) وعليهم شرحبيل ابن حسنة، وكان عمرو وأبو عبيدة بن الجراح على المجنبتين، فانتصر المسلمون على الروم أيضا. كما شهد مع شرحبيل فتح (بيسان وطبرية)، وصالحا أهل الأردن.

وعلم عمرو أن الروم حشدوا جيوشهم وعلى رأسها قائد فلسطين أرطبون في أجنادين، فسار عمرو ومعه شرحبيل ابن حسنة واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي، وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غورًا، وكان قد وضع بالرملة جندًا عظيمًا، و(بإيلياء) جندًا عظيمًا أيضا، فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال: «رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب (يقصد عَمْرًا)، فانظروا عما تنفرج».

وكان معاوية بن أبي سفيان قد شغل أهل قيسارية عن عمرو، كما جعل عمرو علقمة بن حكيم الفارسي ومسروق العكي وجعل أبا أيوب المالكي بالرملة، فشغل هؤلاء القادة القوات الرومانية عن قوات عمرو الأصلية.

وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر على الأرطبون ولا تشفيه الرسل، فسار إليه بنفسه ودخل عليه كأنه رسول، ففطن به الأرطبون، وقال: لا شك أن هذا هو الأمير أو من يأخذ الأمير برأيه. فأمر رجلا أن يقعد على طريقه ليقتله إذا مرّ به، وفطن عمرو إلى غدر الأرطبون فقال له: «قد سمعت مني وسمعت منك، وقد وقع قولك مني موقعًا، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكاتفه ويشهدنا أموره، فارجع فأتيك بهم الآن، فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي ترى فقد رآه أهل العسكر والأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم، وكنت على رأس أمرك». فقال الأرطبون: نعم، ورد الرجل الذي أمره بقتل عمرو. فخرج عمرو من عند الأرطبون، فعلم الرومي بأن عمرًا خدعه، فقال: «خدعني الرجل! هذا أدهى الخلق». وبلغت خديعته عمر بن الخطاب فقال: «لله دَرّ عمرو!».

وقد عرف عمرو من استطلاعه الشخصي هذا نقاط الضعف في مواضع الروم، فهاجمهم واقتتلوا قتالا شديدًا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم، ولكن أرطبون انهزم فأوى إلى (إيلياء) ونزل عمرو أجنادين، وانضم علقمة ومسروق وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين.

ولما دخل أرطبون إيلياء فتح عمرو غزة وسبسطية ونابلس واللدّ ويُبْنى وعمواس وبيت جبرين ويافا ورفح، وقدم عليه أبو عبيدة بن الجراح وهو محاصر بإيلياء وهي بيت المقدس، فطلب أهل إيلياء من أبي عبيدة الصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فقدم عمر وأنفذ صلح (إيلياء) وكتب لهم به عهدًا.

وحاصر عمرو قيسارية بعد فتح بيت المقدس، ولكنه خرج إلى مصر فتولى فتحها معاوية بن أبي سفيان. لقد شهد عمرو أكثر معارك فتح أرض الشام، وكان فتح أكثر فلسطين على يديه.

مولد الإمام الكبير «محمد بن علي بن أحمد بن سعيد» المعروف بابن حزم

في30 من رمضان 384هـ الموافق 7 من نوفمبر 994م مولد الإمام الكبير «محمد بن علي بن أحمد بن سعيد»، المعروف بابن حزم، أحد أعلام المسلمين في القرن الخامس الهجري، وصاحب المؤلفات المعروفة في الفقه والتاريخ ومقارنة الأديان، من أشهرها: «المحلى»، «الفصل في الملل والأهواء والنحل».

رحل العلامة قطب الدين أبو المعالي

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك المصادف للسابع والعشرين من شهر كانون الثاني للعام الميلادي 1183، رحل العلامة قطب الدين أبو المعالي، هو مسعود بن مُحَمّد بن مسعود النيسابوري، تفقه على مُحَمّد بن يحيى صاحب الغزالي، قدم دمشق، ودرّس بالغزاليّة والجاهديّة، وبحلب بمدرسة نور الدين وأسد الدين، ثم بهمدان، ثم رجع إلى دمشق ودرّس بالغزاليّة، وانتهت إليه رئاسة المذهب، توفي اليوم وعنه أخذ الفخر إبن عساكر وغيره.

وفاة الخليفة الناصر لدين الله أبو العبّاس أحمد بن المستضيء بأمر الله

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك المصادف للهامس من شهر تشرين الأول للعام الميلادي 1225، كان وفاة الخليفة الناصر لدين الله أبو العبّاس أحمد بن المستضيء بأمر الله، ولد في بغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة للهجرة النبوية الشريفة، بُويع بالخلافة بعد موت أبيه، وتُوفي في هذه السنة وله من العمر تسع وستون عاما، وكانت مدة خلافته سبعا وأربعين سنة إلا شهرا، ولم يقم أحد من الخلفاء العباسيّين قبله في الخلافة هذه المدة الطويلة، أقام بمصر حاكما ستين عاما، وقد انتظم في نسبة أربعة عشر خليفة.

وفاة تيموجين، المُسمي بجنكيز خان

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك توفي تيموجين، المُسمي بجنكيز خان، من هو جنكيز خان، ليس هناك شك في أن جنكيز خان واحد من أقسى الغزاة الذين ابتليت بهم البشرية، وأكثرهم سفكا للدماء، وأجرؤهم على انتهاك الحرمات وقتل الأبرياء، وحرق المدن والبلاد، وإقامة المذابح لآلاف من النساء والولدان والشيوخ، لكن هذه الصورة السوداء تخفي جانبًا آخر من الصورة، حيث التمتع بصواب الرأي وقوة العزيمة، ونفاذ البصيرة. فكان يجل العلماء ويحترمهم ويلحقهم بحاشيته، وكان له مستشارون من الأمم التي اجتاحها من ذوي الخبرة، وكان لهؤلاء أثر لا يُنكر في تنظيم الدولة والنهوض بها والارتقاء بنواحيها الإدارية والحضارية.

المولد والنشأة

شهدت منغوليا مولد «تيموجين بن يسوكاي بهادر» في سنة (549هـ = 1155م)، وكان أبوه رئيسًا لقبيلة مغولية تُدعى «قيات»، وعُرف بالشدة والبأس؛ فكانت تخشاه القبائل الأخرى، وقد سمّى ابنه «تيموجين» بهذا الاسم تيمنًا بمولده في يوم انتصاره على إحدى القبائل التي كان يتنازع معها، وتمكنه من القضاء على زعيمهم الذي كان يحمل هذا الاسم. ولم تطل الحياة بأبيه؛ فقد توفي في سنة (561 هـ= 1167م)، تاركا حملا ثقيلا ومسئولية جسيمة لـ«تيموجين» الابن الأكبر الذي كان غض الإهاب لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وما كان ليقوى على حمل تبعات قبيلة كبيرة مثل «قيات»، فانفض عنه حلفاء أبيه، وانصرف عنه الأنصار والأتباع، واستغلت قبيلته صغر سنه فرفضت الدخول في طاعته، على الرغم من كونه الوريث الشرعي لرئاسة قبيلته، والتفت حول زعيم آخر، وفقدت أسرته الجاه والسلطان، وهامت في الأرض تعيش حياة قاسية، وتذوق مرارة الجوع والفقر والحرمان.

تأسيس الدولة

نجحت أم تيموجين في أن تجمع الأسرة المستضعفة وتلم شعثها، وتحث أبناءها الأربعة على الصبر والكفاح، وتفتح لهم باب الأمل، وتبث فيهم العزم والإصرار، حتى صاروا شبابًا أقوياء، وبخاصة تيموجين الذي ظهرت عليه إمارات القيادة، والنزوع إلى الرئاسة، مع التمتع ببنيان قوي جعله المصارع الأول بين أقرانه. تمكن تيموجين بشجاعته من المحافظة على مراعي أسرته؛ فتحسنت أحوالها، وبدا يتوافد عليه بعض القبائل التي توسمت فيه القيادة والزعامة، كما تمكن هو من إجبار المنشقين من الأتباع والأقارب على العودة إلى قبيلتهم، ودخل في صراع مع الرافضين للانضواء تحت قيادته، حسمه لصالحه في آخر الأمر، حتى نجح في أن تدين قبيلته «قيات» كلها بالولاء له، وهو دون العشرين من عمره، وواصل تيموجين خطته في التوسع على حساب جيرانه، فبسط سيطرته على منطقة شاسعة من إقليم منغوليا، تمتد حتى صحراء جوبي، حيث مضارب عدد كبير من قبائل التتار، ثم دخل في صراع مع حليفه رئيس قبيلة الكرايت، وكانت العلاقات قد ساءت بينهما بسبب الدسائس والوشايات، وتوجس «أونك خان» زعيم الكرايت من تنامي قوة تيموجين وازدياد نفوذه؛ فانقلب حلفاء الأمس إلى أعداء وخصوم، واحتكما إلى السيف، وكان الظفر في صالح تيموجين سنة (600هـ= 1203م)، فاستولى على عاصمته «قره قورم» وجعلها قاعدة لملكه، وأصبح تيموجين بعد انتصاره أقوى شخصية مغولية، فنودي به خاقانا، وعُرف باسم «جنكيز خان»: أي إمبراطور العالم. وبعد ذلك قضى ثلاث سنوات غني فيها بتوطيد سلطانه، والسيطرة على المناطق التي يسكنها المغول، حتى تمكن من توحيد منغوليا بأكملها تحت سلطانه، ودخل في طاعته الأويغوريون.

الياسا الجنكيزية

بعد أن استتب له الأمر اتجه إلى إصلاح الشئون الداخلية، فأنشأ مجلسًا للحكم يسمّى «قوريلتاي» سنة (603هـ=1206م) ودعاه للاجتماع، وفيه تحددت لأول مرة شارات ملكه، ونظم إمبراطوريته، ووضع لشعبه دستورًا محكمًا يسمى «قانون الياسا» لتنظيم الحياة، بعد أن رأى أن الآداب والأعراف والتقاليد المغولية لا تفي بمتطلبات الدولة الجديدة، ولم تكن مدونة، فأعاد النظر في بعضها، وقبل بعضها الآخر، ورد ما رآه غير ملائم، وتناول الدستور أمورًا متعددة لتنظيم الحياة بالدولة الناشئة، والزم أجهزة الدولة بتطبيق بنودها والعمل بموجبها، وشدد على معاقبة المخطئين.

إخضاع الصين

اصطدم جنكيز خان بإمبراطورية الصين التي كانت تحكمها أسرة «سونج»، وكانت لا تكف عن تحريض القبائل التركية والمغولية ضد بعضها؛ كي ينشغلوا بأنفسهم وتأمن هي شرهم، فأراد جنكيز خان أن يضع حدًا لتدخل الصينيين في شئون القبائل المغولية، وفي الوقت نفسه تطلع إلى ثروة الصين وكنوزها، فاشتبك معها لأول مرة في سنة (608هـ= 1211م)، واستطاع أن يحرز عددًا من الانتصارات على القوات الصينية، ويُخضع البلاد الواقعة في داخل سور الصين العظيم، ويعين عليها حكامًا من قبله. ثم كرر غزو الصين مرة ثانية بعد أن حشد لذلك جموعًا هائلة سنة (610هـ – 1213م)، لكنه لم يحرز نصرًا حاسمًا، ثم جرت محاولة للصلح بين الطرفين، لكنها لم تفلح، فعاود جنكيز خان القتال، واستدار بجيشه الذي كان عائدًا إلى بلاده، واشتبك مع جحافل الصين التي لم تكن قد استعدت للقتال، وانتصر عليها في معركة فاصلة، سقطت على إثرها العاصمة بكين في سنة (612هـ= 1215م) وكان لسقوطها دوي هائل، ونذير للممالك الإسلامية التي آوت الفارين من أعدائه، وأظهرت ما كان يتمتع به الرجل من مواهب عسكرية في ميادين الحرب والقتال.

تعقب أعدائه

بعد أن فرغ جنكيز خان من حربه مع الصين اتجه ببصره إلى الغرب، وعزم على القضاء على أعدائه من قبائل النايمان والماركيت، وكان كوجلك خان بن تايانك زعيم النايمان قد تمكن بالتعاون مع السلطان مُحَمّد خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية من اقتسام الدولة القراخطائية سنة (607هـ= 1210م)، وأقام دولة امتدت من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية، لكنه لم ينعم كثيرًا بما أقام وانشأ، فقد أرسل إليه جنكيز خان جيشا كبيرًا، يقوده أحد رجاله الأكفاء، تمكن من القضاء على كوجلك وجيشه في سنة (615هـ= 1218م)، كما أرسل ابنه جوجي لتعقب زعيم قبيلة المركيت، فتمكن من القضاء عليه وعلى أتباعه.

مقدمات الصدام مع الدولة الخوارزمية

لم يكن جنكيز خان بعد أن اتسع سلطانه، وامتد نفوذه يسعى للصدام مع السلطان مُحَمّد بن خوارزم شاه بل كان يرغب في إقامة علاقة طيبة، وإبرام معاهدات تجارية معه، فأرسل إليه ثلاثة من التجار المسلمين لهذا الغرض، فوافق السلطان مُحَمّد على ذلك، وتوجه عقب ذلك وفد تجاري كبير من المغول يبلغ نحو 450 تاجرًا، كانوا كلهم من المسلمين، يحملون أصنافًا مختلفة من البضائع، واتجهوا إلى مدينة «أترار»، وبدلا من أن يمارسوا عملهم في البيع والشراء، اتهمهم حاكم المدينة «ينال خان» بأنهم جواسيس يرتدون زيّ التجار، وبعث إلى السلطان يخبره بذلك، فصدقه وطلب منه مراقبتهم حتى يرى رأيه في شأنهم، لكن «ينال خان» قتلهم، وصادر تجارتهم، واستولى على ما معهم، ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان مُحَمّد هو الذي أمر بهذا، وأن واليه لم يقدم على هذا التصرف الأحمق من تلقاء نفسه. غضب جنكيز خان، واحتج على هذا العمل الطائش، وأرسل إلى السلطان مُحَمّد يطلب منه تسليم «ينال خان» ليعاقبه على جريمته، لكن السلطان رفض الطلب، ولم يكتف بذلك بل قتل الوفد الذي حمل الرسالة، قاطعًا كل أمل في التفاهم مع المغول، وكان ذلك في سنة (615 هـ= 1218م).

الإعصار الهائج

استعد جنكيز خان لحملة كبيرة على الدولة الخوارزمية، وتحرك بجيوشه الجرّارة إلى بلاد ما وراء النهر، فلما بلغها قسّم جيوشه عليها، وتمكن بسهولة من السيطرة على المدن الكبرى مثل «أترار» وبخارى، وسمرقند، ولم يجد ما كان ينتظره من مقاومة ودفاع، وأقدم على ارتكاب ما تقشعر لهوله الأبدان من القتل والحرق والتدمير، قتلت جيوشه سكان مدينة أترار عن بكرة أبيهم، وأحرق جنكيز خان بخارى عن آخرها، واستباحوا حرمة مسجدها الجامع الكبير، وقتلوا الآلاف من سكانها الأبرياء، وواصل الزحف بجيوشه متعقبًا السلطان مُحَمّد الذي زلزل الخوف قلبه، وفقد القدرة على المقاومة والصمود، فظل يتنقل من بلد إلى آخر، حتى لجأ إلى إحدى الجزر الصغيرة، في بحر قزوين، حيث اشتد به المرض، وتوفي سنة (617هـ= 1220م).

جنكيز خان وجلال الدين بن خوارزم شاه

تحمل جلال الدين منكبرتي لواء المقاومة بعد أبيه، وكان أثبت جنانًا، وأقوى قلبًا، فنجح في المقاومة، وجمع الأتباع، وحشد الأنصار، وألحق الهزيمة بالمغول في معركة «پروان» سنة (618هـ= 1221م)، فلما سمع الناس بهذا النصر فرحوا فرحًا شديدًا بعد أن استبد بهم اليأس، وثارت بعض المدن على حاميتها من المغول، وكان يمكن لهذا النصر أن تتلوه انتصارات أخرى لو خلصت النية وصدقت العزيمة، لكن سرعان ما نشب خلاف بين قادة جيوش جلال الدين، وانسحب أحدهم بمن معه غير مدرك عظم المسئولية، فانهار حلم الدفاع، وتهاوى جلال الدين أمام جحافل المغول، وتوالت الهزائم بعدما خارت العزائم، واضطر جلال الدين إلى الانسحاب والفرار إلى الهند. وعندما اطمأن جنكيز خان إلى ما حقق عاد إلى منغوليا لإخماد ثورة قامت ضده هناك، وتمكن من إخمادها.

وفاته

وبعد أن قام جنكيز خان دولة مترامية الأطراف مرهوبة الجانب، توفي بالقرب من مدينة «تس جو» في مثل هذه اليوم ودُفن في منغوليا، وخلفه على الإمبراطورية ابنه «أوكتاي».

مُحَمّد إبن يوسف يجمع بقايا مسلمي الأندلس لقتال الأسبان

الزعيم العربي الأندلس مُحَمّد إبن يوسف يجمع في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك بقايا مسلمي الأندلس لقتال الأسبان، ولبقيم لنفسه دولة، لكنه قتل، فقام بعده رجل يحمل اسمه واسم أبيه ويُدعى مُحَمّد إبن يوسف إبن أحمد إبن نصر، فقام بهذه المهمة، إذ جمع بقايا مقاتلي المسلمين حوله في الطرف الغربي من بلاد الثلج بأسبانيا، فتحصن هناك إلى آخر شهر رمضان، وبعدها انتقل إلى غرناطة وتجمع حوله من استطاع الهرب من شمال ووسط أسبانيا، ليجتمع المسلمون في غرناطة، مؤسسين دولة بني الأحمر، آخر دولة إسلامية عربية في الأندلس والتي صمدت أكثر من مئتي عام أمام الجيوش الإسبانية، ثم زالت في القرن الخامس عشر.

تُوفي المُسند الأصيل أسد الدين عبد القادر

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك تُوفي المُسند الأصيل أسد الدين عبد القادر إبن المغيث عبد العزيز إبن الملك المعظم عيسى إبن الملك العادل أبي بكر مُحَمّد بن أيوب بقبة الجاموس بمدينة الرملة بفلسطين، صُلي عليه عقيب صلاة الجمعة وحُمل إلى بيت المقدس الشريف، فدُفن بمدرسة جدّه الملك المُعظم.